

روح المعاني

وأصل التركيب إن الذين تولوا منكم يوم ألتقى الجمعان إنما تولوا لأن الشيطان أستزلهم ببعض إلخ فهو كقولك : إن الذي أكرمك إنما أكرمك لأنك تستحقه وذكر بعض للإشارة إلى أن في كسبهم ما هو طاعة لا يوجب الإستزال أو لأن هذه العقوبة ليست بكل ما كسبوا لأن الكل يستدعي زيادة عليها لكنه تعالى من بالعفو عن كثير ولو يؤاخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولقد عفا الله عنهم أعاد سبحانه ذكر العفو تأكيداً لطمع المذنبين فيه ومنعاً لهم عن اليأس وتحسيناً للطنون بآتم وجه وقد يقال : هذا تأسيس لا تأكيد فتذكر إن الله غفور للذنوب صغائرها وكبائرها حلیم 551 لا يعاجل بعقوبة المذنب وقد جاءت هذه الجملة كالتعليل للعفو عن هؤلاء المتولين وكانوا أكثر القوم فقد ذكر أبو القاسم البلخي أنه لم يبق مع النبي يوم أحد إلا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين أبو بكر وعلي وطلحة وعبدالرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص والباقر من الأنصار رضي الله تعالى عنهم أجمعين ومن مشاهير المنهزمين عثمان ورافع بن المعلى وخارجة بن زيد وأبو حذيفة بن عتبة والوليد بن عتبة وسعد وعقبة إبن عثمان من الأنصار من بني زريق وروى عن إبن عباس أن الآية نزلت في الثلاثة الأول وعن غيره غير ذلك ولم يوجد في الآثار تصريح بأكثر من هؤلاء ولعل الإقتصار عليهم لأنهم بالغوا في الفرار ولم يرجعوا إلا بعد مضي وقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن منهم من لم يرجع إلا بعد ثلاث فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد ذهبتم بها عريضة وأما سائر المنهزمين فقد أجمعوا في ذلك اليوم على الجبل وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان من هذا الصنف كما في خبر إبن جرير خلافاً للشعبة وبفرض التسليم لا تعبير بعد عفو الله تعالى عن الجميع ونحن لا ندعي العصمة في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولا نشترطها في الخلافة .

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون كعبداً بن أبي وأصحابه قاله السدي ومجاهد وإنما ذكر في صدر الجملة كفرهم تصريحاً بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيراً عن مماثلتهم وهم وفيه دليل على أن الإيمان ليس عبارة عن مجرد الإقرار باللسان كما يقوله الكرامية وإلا لما سمي المنافق كافراً وقيل : المراد بالذين كفروا سائر الكفار على العموم أي لا تكونوا كالكفرة في نفس الأمر وقالوا لإخوانهم في المذهب أو النسب واللام تعليلية أي قالوا لأجلهم وجعلها إبن الحاجب بمعنى عن ولا يجوز أن يكون المراد مخاطبة الإخوان كما هو المتبادر لدلالة ما بعد على أنهم كانوا غائبين حين هذا القول وقول بعضهم : يصح أن يكون جعل القول لإخوانهم بإعتبار البعض الحاضرين والضرب الآتي لضرب آخر

تكلف لا حاجة إليه سوى كثرة الفضول إذا ضربوا في الأرض أي سافروا فيها لتجارة أو طلب معاش فما تواقاله السديوأصل الضرب إيقاع شيء على شيء وأستعمل في السير لما فيه من ضرب الأرض بالرجل ثم صار حقيقة فيه وقيل : أصل الضرب في الأرض الأبعاد في السير وهو ممنوع وخص الأرض بالذكر لأن أكثر أسفارهم كان في البر وقيل : أكتفى بذكر الأرض مرادا بها البر عن ذكر البحر وقيل : المراد من الأرض ما يشمل البر والبحر وليس بالبعيد وجيء بإذواحق الكلام إذ كما قالوا لقالوا الدال بهيئة على الزمان المنافي للزمان الدالة عليه